إشكالية القراءة النقدية بين التقليد والتجديد في الشعر العراقيّ الحديث عند الدكتور عدنان حسين العوادي

أ.م.د موسى خابط غفران أحمد مهدي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

PROBLEMATIC OF CRITICISM READING BETWEEN TRADITION AND INNOVATION IN THE MODERN IRAQI POETRY WHEN DR. ADNAN HUSSAIN AL AWADI

Ass. Prof. Dr. MUSA KHABIT ABBOUD GHUFRAN AHMED MAHDI

COLLEGE OF EDUCATION\ UNIVERSITY OF BABYLON

mastergha@gmail.com

Abstract:

This research addresses the problem of criticism reading between tradition and innovation when Dr. Adnan Hussain Al Awadi, in light of his book (the language of modern poetry in Iraq) As the research study three criticism axes: (emulated and difference, novelty and innovation, heritage and contemporary) they are axes were controversial since antiquity to the present time; as It problematic filled the horizon with its arguments and place for itself an inscription on the wall of time. Evolution has found in life a resonance in the poetry which emerged from the Old oysterl in the bottom of the water to the roof to attend different worlds of the old world, resulting in substantial changes or secondary permeated the poetry introduced the critics in continuous clash and controversy sprawling Open Time.

Keywords: tradition criticism reading, innovation, the modern iraqi poetry, Dr. Adnan Hussain Al Awadi.

الملخص:

يعالج هذا البحث اشكالية القراءة النقدية بين التقليد والتجديد عند الدكتور عدنان حسين العوادي في ضوء كتابه (لغة الشعر الحديث في العراق (إذ تناول البحث بالدراسة ثلاثة محاور نقدية: الاحتذاء والاختلاف، الجدة والابتكار، التراث والمعاصرة فهي محاور كانت مثار جدل منذ القدم والى وقتنا الراهن، بوصفها اشكالية ملأت الأفق بجدلها ونقشت لنفسها مكانا على جدار الزمن. فقد وجد التطور في الحياة صدى في الشعر الذي خرج من محارة القديم في عمق المياه الى السطح ليرتاد عوالم مختلفة عن عالمه القديم فترتبت على ذلك تغيّرات جوهرية أو ثانوية تخللت الشعر أدخلت النقاد في اشتباك مستمر وجدل مترامي الأطراف مفتوح الزمن.

الكلمات المفتاحية: القراءة النقدية, التقليد, التجديد, الشعر العراقي الحديث, الدكتور عدنان العوادي.

المقدمة:

فقد وجدتْ قضية التقليد والتجديد فضاءً رحبا في الساحة النقدية وأخذت حيّزا كبيرا امتد الى عصور عدة؛ فالشاعر بطبيعة الحال يسعى الى مواكبة العصر الذي يعيش فيه مدفوعا بسعيه الدؤوب في البحث والتقصي باتجاه التغيير في عجلة الحياة؛ وقد سبب ذلك في بروز إشكالية شائكة تتمحور حول التمسك بالأنموذج القديم والاقتداء به كُلا كاملا، ومحاولة الخروج على هذا القديم متأثرا برياح التجديد ثائرا على طوق التقليد، فهناك عملية ربط وتعالق أدخلت النقاد في إشكالية العلاقة بين التقليد والتجديد، وكيفية النظر إليهما؛ ولذا فقد تناول البحث هذه الاشكالية النقدية للشعر العراقي الحديث من منظور الدكتور عدنان العوادي في كتابه (لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية)، لما يحفل به هذا الكتاب – بحسب ما نرى– من فضاءٍ نقدي خصب تناول هذه الاشكالية وقلّبها على وجوه متعددة ومحاور مختلفة، ولكون هذه الدراسة رائدة في مجالها؛ إذ لم تدرس من قبل بصورة مستقلة وتفصيلية، ويكفي أنَّ احد النقاد المعاصرين قد سجل له هذا السبق حين قال: "إنّه عدنان العوادي الذي احبَّ العربية ناشئا حتى

اكتملت لديه حرفا انيقا، وبيانا مشرقا]...[ولا يكتب إذا كتب، الا في ميدان جديد لم تستنزفه الاقلام]...[وكان ذلك أيضا حين كتب (لغة الشعر الحديث في العراق)

وقد تمثلت المحاور النقدية على وفق الآتي:

أولاً: الاحتذاء والاختلاف

معلوم أنّ الشاعر حينما يبدع قصيدته فكأنه يحلق في أجواء تسودها الرغبة في إفراغ المكبوت من الانفعالات والمواقف، معبأ برصيد هائل من التراث الشعري، فتتدفق لديه المفردات اللغوية ناسجاً شعره الخاص به، المستمد من التراث الذي يتناسل " عبر الزمن فتتولد من الموجود الواحد كائنات متعددة على قدر ما تتولد من النص نصوص تلو النصوص, فهناك عطاء شعري لا ينضب يغترف منه الشاعر ما شاء من الدوال والمدلولات، سائرا على طريقة القدماء في اشعارهم مقلدا إياهم، أو أنّه خارج عن منوالهم مترسما غير خطاهم.

ومن هنا مدّ الدكتور العوادي بصره الى الأصول الأدبية متقصياً أطرافها ونواحيها؛ ممهداً الطريق للقارئ ليتسنى له الاطلاع على الإبداع الشعري القديم، وليُشكّل قاعدة رصينة ينطلق منها في مسيرته النقدية الطويلة التي تتلمس مفاصل التطور والتحول الذي طرأ على الشعر العربي عامة والشعر العراقي الحديث خاصة، فتتكون لديه أدوات لسبر أغوار الشعر العراقي الحديث وما طرأ عليه من مسارات التغيير عمّا كان عليه في القدم؛ ولذا جاء اهتمام العوادي بمسألة الاحتذاء والاختلاف رغبة منه في جعل القارئ في الصورة الجلية وإشراكه في رؤية واضحة تمنحه القدرة في القبض على مفاصل إشكالية القراءة النقدية.

حدد العوادي في قراءته هذه الإشكالية في الموقف من القديم والجديد، فالموقف كان " يزداد إشكالا كلما تعقدت الطبيعة الثنائية للنشاط البشري (الممارسة العملية– الابداع الفكري) ، فهذه الإشكالية كانت في تصاعد مستمر لانتقال الشاعر الى مرحلة أخرى من الوعي أدخله في فضاء مختلف عن الفضاء العام للقصيدة العربية المتعارف عليها ولا سيّما أنّ الشعر "ممارسة ترقى بالتدرج مع الزمن، وهذه الممارسة تستدعي مع مرور الزمن ارتياد مناطق وأفكار جديدة تنزاح عن الثابت التقليدي الماثل في العقول والأذهان، وهذا ما ينتج عنه ردود أفعال رافضة، واخرى –على قلتها– مؤيدة، واحيانا متأرجحة توفيقية ازاء هذا التحول بالشعر العراقي الحديث الى صورته الجديدة.

ويرى العوادي أنّ للاحتذاء تأثيراً بادٍ في شعر الشعراء الذين جاءوا بعد امرئ القيس الذي قيل عنه إنّه "أول من نهجَ سبيله، وسهّل الطريقَ اليه فكان على اولئك الشعراء أنْ "يوفقوا بين انفعالهم الذاتي بمجريات الحياة، وبين ما يمليه عليهم سلطان الاعراف القبلية والاجتماعية، وكأن العوادي أراد أنّ يقول أنّ ثمة صراعاً قد حصل بين قراءة الشاعر الذاتية لمجريات الحياة كما يراها هو وبين ما استقر من أعراف وتقاليد قبلية قننت الواقع ونمّطته على سابق مثال، بمعنى أنّه صراع بين واقع حيّ آني للشاعر وبين افكار مسبقة تُجتر باستمرار عبر توالي الأزمنة. وهي بدورها قد "أسهمت في تكريس التقليد وفي شيوع تقاليد بعينها في بناء المقطع الشعري وفي بناء القصيدة وكذا في الأغراض وفي موضوعات الغرض الواحد.

ولذا فقد اكتسب التقليد (الاحتذاء) اتباعاً وتبجيلاً لمدة طويلة وأصبح الاحتذاء به أمراً قاراً في العقول. رافضاً لأي اختلاف يُقصد به الخروج عن هذا الإطار الذي ترسّموه.

ثم جاء من خرج بشعره عن الإطار المستقر مُحْدِثا العديد من الاختلافات مع الشعر التقليدي ذي الهالة المقدسة منتجاً شعراً مخالفاً للأنموذج المحتذى به. وقد وصف النقاد هذه الاختلافات التي تجلت في شعر بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي نواس وغيرهم بأنّها تحولات لم تُصِب البنى الجوهرية للشعر فحسب بل في تحولات ثانوية تطرأُ نتيجة عوامل جديدة دخلت على الشعر بسبب من متغيرات في الثقافة والمجتمع واللغة والرؤى.

وتعالت الدعوات لترك الوقوف على الطلل الذي لم يعد متلائما مع العصر الجديد والتطور الحضاري آنذاك، ومن ذلك ما جاء في شعر ابي نواس:

دَع الطللَ الذي اندثَرا يُقاسي الريحَ والمَطَرا
ألم ترَ ما بنَى كسْرى وسابورٌ لمنْ غبَرَا
منازهُ بينَ دِجلَةَ وال فراتِ تفيَّأت شجَرا

وقد قُوبِل هذا برد معاكس إذ واجه "إعراضا عن الاهتمام بروايته من قبل معظم النقاد، وقد بيّن العوادي سبب هذا الإعراض وعدم اطمئنانهم لهذا التحول بأنّ اللغة التي يستعملها الشعراء" لم تكن عريقة في بداوتها، إذ دخلت فيها تأثيرات البيئات الحضرية وما يتبع ذلك من ليونة في مفرداتها وتوارد الألفاظ الدخيلة وارتفاع نسبة اللحن على الألسنة بخلاف اللغة البدوية الجزلة الفصيحة.

بيد أنّ هذا الخروج عن دائرة المقدس الواجب الاحتذاء إنّما كان يبشر لبداية وعي جديد مختلف عن الوعي السابق ذي الحدود الثبوتية، فكان لهذا الوعي بروح العصر–عند العوادي– ما شكّل من مظاهر" القوة بحيث لا يمكن تجنبها أو التغاضي عنها، فظهرت استجابة لذلك ملامح التغيير التي لا ترى في الاحتذاء طريقا مناسبا للتكيف مع روح العصر، ولذا فقد رغبوا في خروجهم هذا في التأسيس لبنية شعرية جديدة تخدم اهدافهم وروح عصرهم.

وكان من جرّاء صدور الشاعر عن روح عصره أن أصبحت القصيدة "تعبيرا رمزياً (لغوياً) عن خبرته الذاتية، التي هي ثمرة المستوى المادي والروحي للحياة العامة بكل مجرياتها.

ويمكن القول أنّ ما اراد العوادي قوله إنّ الشاعر تمكّن من طريق هذه الفسحة التي اوجدها بعيداً عن المحددات التي فرضها القدامى من الانصهار والتفاعل مع ذاته أولاً ومع الحياة وأحداثها ثانياً معبراً بشعر أقرب الى دخيلته هو دون وضع القبيلة أو المجموع في المرتبة الأولى كما كان يصنع في الشعر التقليدي، الذي ركز على أهمية التمسك بفكرة الجماعة والتشبث بها وجعلها أساس حياة الشعراء وبالمقابل من ذلك يتم اهمال الإطار الفردي للشاعر.

ويبدو أنّ موقف العوادي من هذه الإشكالية النقدية في السير على خطى القدامى والتماهي مع رؤيتهم بعدّهم الانموذج الواجب التقليد والاحتذاء، أو الخروج عن منوالهم – القدامى– الذي اجترحوه للاتباع والتقليد ومغادرة التعصب لهم؛ لمؤازرة النظرة الجديدة للشعر والايمان الكلي بالتحول الحديث، أقول كان موقف العوادي مختلفاً عن رأي الطرفين المتناقضين لهذه الإشكالية؛ فلم يتخندق في مكان على حساب المكان الأخر، وإنّما حاول أنْ يستلهم روح التطور الذي يعمل على الارتقاء بالشعر وموضوعاته بما ينسجم والتطور الحاصل في مناحي الحياة الحضارية بشكل عام وامارة ذلك أن يترسم الشاعر طريقه الذي يوسم به فيكون له علامة دالة على موهبته وروحه الأصيلة وتجاربه الشخصية.

وبناءً على ذلك يتعين في نظر العوادي على الشاعر أن يستمد من تقاليد الماضي، يتعين عليه أيضاً أن يستعمل اللغة استعمالاً مغايراً وعلى الرغم من أنّ الشاعر قد لا يستطيع الافلات من العرف اللغوي السائد في عصره، الا أن عليه كذلك، أن يبدع وينمي أسلوبه الخاص به تبعا لذوقه ومزاجه وتنوع تجاربه، ويتضح من هذا القول إنّ على الشاعر أن لا يهجر طرائق القدامى ويتنكر لأساليبهم وانماطهم ونتاج خبراتهم وإنّما ينبغي عليه أنْ يراعي كل ما تقدّم ولكن من دون أن ينسى نصيبه في استثمار مواهبه واستعداداته الفردية الإبداعية وقدرته على الإضافة الأصيلة من طريق ما يتحصل لديه من امكانية تشكيل إبداعي جديد يثير الاعجاب والتأمل ويشعر الآخر بالاختلاف الظريف ولا سيّما أنّ الشاعر" يستطيع أن يمد من آفاق تفكيره الى نطاق ابعد مما تتحمله اللغة. أي بإمكان الشاعر أن يفك الأسر الذي أُقتيد فيه ويخرج من دائرة التقليد الى دائرة تستثمر القديم بما يناسبها ويفي بمتطلباتها.

ثانيا: الجدّة والابتكار

ثمة مساحات شعرية يشتغل عليها الشاعر بإبرة ذات خيوط ذهبية صانعاً قطعة شعرية محكمة الإتقان والنسج، وذات بنية براقة تتلألأ فيها سمات الجدّة والابتكار؛ لإعمال الوعي الثقافي والفكري للقارئ وإثرائه للارتقاء به من جهة، ولعكس وعي الشاعر وثقافته من جهة أخرى.

وكون الشاعر مجدّداً أو مبتكراً لا يعني أنْ يأتي بأفكار أو أطر لم يُسبق اليها فيصوغها من العدم، وانّما قد يصوغ اشعاراً – أو جملة شعرية – من التراكم التراثي الخزين لديه فيبعث فيه روحا وحُلّة جديدة تبهر الناظر والسامع لها، فتشعر القارئ أنه أمام جملة شعرية متألقة تثير فيه جواً من الانفعالات والتساؤلات.

ومع انطلاقة العوادي لقراءة تطور الشعر العراقي الحديث فإنّه يستجلي مواطن الجدّة والابتكار عند الشعراء العراقيين الذين اتخذهم انموذجا لدراسته وهم (الشبيبي، الكاظمي، الزهاوي، الرصافي، علي الشرقي، الجواهري). ومما لاحَ إليه الموجات التجديدية التي دعا اليها الشعراء والتي اقتضت عدم النظر الى الشعر من زاوية واحدة وإنّما " تعددت زوايا النظر اليه تبعا لتعدد مستوياته واختلاط بعضها ببعض، وأنّ هذه التعددية والاختلاط لم تكن ثمرة لموقف الشعراء من عصرهم فقط، إنّما هي ايضا ثمرة لموقفهم من طبيعة الفن الشعري ووظيفته وموقع اللغة منه، فتغير " منظار الرؤية وزاويتها بحيث غدت (ذات) الشاعر أكثر حرية في النظر الموضوع وأكثر قدرة على تخيله وذلك أدى الى تجديد على مستوى الشعر، أي أضحت هناك رؤيا أكثر وضوحاً من السابق فالشاعر أخذ يعي دوره في المجتمع مدركاً نوع الرسالة التي ينبغي عليه ايصالها من طريق فنه الشعري، ولذا بدا صوته يعلو في عالم مثقل بالصراعات والانهيارات فهو يعد نفسه ناقداً بطريقة خاصة فقد أتاح له اتساع مساحة وعيه وانفتاحه على معطيات العصر ومنجزاته أن يرى التناقضات التي تحكمه فأخذت تتصدع لديه كثير من الثوابت والقناعات محاولاً إصلاحها بتعديلها أو إزالتها. ولذا كان على الشاعر أن يحدد موقفه وطبيعة الاتجاه الذي يسير عليه في شعره.

وقد رصد العوادي دعوة الشعراء الى التجديد ونبذ القديم عند الشعراء المحافظين المقلدين أمثال (الشبيبي والكاظمي) إذ تعالت الدعوات في شعريهما الى التجديد فهذا الكاظمي يقول مخاطبا الشعراء:

ألا خالفوا أسرى التقاليد واطلقوا قرائحكم واستخلصوا ما يوافق

فالكاظمي رأى أنّ تقليد القدامى لم يعد يُجدي نفعاً خاصة وأن هذا التقليد مما يكبل الشاعر بأصفاد غليظة ويقف عائقاً أمام ابتداع الجديد؛ ولذا دعا الشعراء الى مخالفة التقاليد واطلاقهم العنان لقرائحهم للإجادة في شعرهم بما يوافق عصرهم.

ولم يبتعد عن هذا المسار زميله الشبيبي الذي هام بسرّ الابتكار فهو لا يجد غير الناقلين المقلدين:

أهيم بسرّ الابتكار لأنني – وقد طال عهدي– لا أرى غير ناقل

فالعوادي تلمّس من طريق الأشعار التي اطلقها الشعراء رغبتهم في حياكة شعر جديد مواكب للعصر يفي بالتعبير عن اختلاجاتهم وما يدور في فلك أفكارهم. فما يُلحظ الرغبة في التجديد بوصفها ضرورة حضارية لازمة؛ فهي مما تمليه الحياة وتفرضه.

وفي الوقت الذي اكتفى فيه الكاظمي والشبيبي بالدعوة للتجديد والمطالبة بالتطور ولكنهما سارا على منوال القدامى، فإنّ كلاً من الزهاوي والرصافي قد تمكّنا من تحقيق شيئاً غير قليل من هذه الدعوات في مضمون أشعارهما وقد أشار الرصافي الى أنّ الشعر لا يحسن مالم يعتوره التجديد، إذ يقول:

لا يَحسُنُ الشَّعْرُ إلا وهو مبتكرٌ وأيُّ حسنٍ لشعرٍ غيرَ مبتكرِ

فقد آتيا بما شكّل مفاجئة للمجتمع العربي آنذاك – المعروف بذائقته الكلاسيكية المحافظة والتي يحكمها العُرف السائد من العادات والتقاليد – بما طرحاه من أفكار وموضوعات مختلفة عما عُهد عليه، وكان لذلك الطرح الشعري اثرٌ في المجتمع عززا فيه موقفهما تارة وأثار الضجة والصخب عليهما تارة أخرى، إذ إنّ التجديد عادة " ما يواجه بالصد لأنّ الجديد اختراق للمألوف، وخروج على العادة.

إنّ ما وجده العوادي من جدّة في الموضوعات التي طرحها الشاعران والتسهيلات التي دعا إليها مكنت " الهيكل التقليدي للقصيدة من تغليف الموضوع الجديد الذي دخل إليه فهما في نظره لم يتمكنا من التجديد في كامل الشعر وإنّما " تناول منه (موضوعه). فقد اولى الشاعر العصري تلك الموضوعات التي تضطرب في الواقع القائم عنايته الأساسية]...[والذي تغير هو ميدان الرؤية أو وجهتها، لا محورها أو زاويتها والى جانب ما تقدّم فإنّ التجديد الذي أصاب الموضوعات " لم يكن كبيرا، اذ جاء تطورا في الدرجة لا

في النوعية. فهما اقتربا بشعرهما من حرارة الحياة وكدرها واستجابا بشجاعة وصدق لضغوط الواقع وتحولاته ولكن على الرغم من ذلك لم يتمكنا من الرقي بشعرهما إبداعياً وفنياً.

ومهما يكن من حجم التجديد الذي حققاه فإنه يكفي أنّ الزهاوي والرصافي قد تمتعا بالجرأة لكسر قيود الخوف من الخروج عن النمط السائد من التفكير الجمعي، فقد ثارا على السائد الذي طبع عليه الناس فكان من نتيجة ذلك – وإن كان بصورة جزئية – الخروج من سجن التفكير والوعي المعتاد الى آفاق أكثر رحابة.

وقد خطا الشاعران علي الشرقي والجواهري خطوةً في طريق الجدّة والابتكار فهما أحسا " منذ وقت مبكر، بالنزوع الى (التمرد) على كثير من المواضعات والأفكار السائدة، التي نفذت قيمتها ولم تعد تجاري العصر بتقنياته وتقدمه المستمر؛ ولذا كان التوجه نحو إقامة علاقة متجددة تجمع بين الظروف الإنسانية المعاصرة وبين الجوهري الموروث من أجل تقديم رؤية واعية تكفل ديمومة العلاقة الإبداعية بين الشاعر برؤيته الواعية وشعره المواكب للعصر والمتصل بروحه فضلاً عن استلهام التجارب " الحياتية الحية، وتطويع اللغة الشعرية لتلامس الطبقات الباطنية في النفس الإنسانية.

وقد حدد العوادي أبعاد هذا التمرد والنزوع الى التجديد لدى الشاعرين على مستويات ثلاثة، هي:

1- سياسياً: في معاداة الاستبداد والاحتلال، وفي موقف الاسهام والمؤازرة لثورة العشرين.

2- اجتماعياً: في الموقف الداعي لتحرير المرأة وتعليمها.

3- فنياً: لم يتمثل على نحو واضح بالسرعة نفسها، بل كان لا بدّ له أن يتأخر عن ذلك.

وهذا يعني أنّ التوجهات في هذه الحقبة نحت نحو أبعاد وآفاق أكثر امتداداً واتساعاً؛ نتيجة للمعطيات الحضارية والثقافية المختلفة.

وبهذا وجد العوادي خصيصة جوهرية في رؤية الشرقي تمثلت في " محاولته زحزحة الرؤية التقليدية لعلاقة الماضي بالحاضر، القائمة، عادة، على (التعاقب والتوازي) وسعيه لإقامتها على صلات أوثق قد تبلغ مبلغ (الترابط والتداخل) فالشاعر عبّر عن الحياة وصورها عن طريق خلق حياة أخرى معادلة لتلك الحياة بطريقة متناغمة تتداخل فيها رموز الطبيعة مع اسقاطات الشاعر النفسية من رؤى وأفكار وانفعالات.

ولم يكتفِ العوادي بذلك بل وضع يده على خصائص التجديد لدى الشرقي مدرجاً إياهن في نقاط شملت تجديده من حيث اللفظة والصياغة والصنعة وفي ذلك إشارة جلية لجهد العوادي النقدي في استقراء ديوان الشرقي وخروجه بما ترتب على قراءته من نتائج.

وتجلت الجدّة في شعر الجواهري – بحسب رأي العوادي – على مستويين هما: الألفاظ والبناء، وأمّا الألفاظ فقد نأى فيها الجواهري عن " اللفظ المبتذل واتجه الى الفصيح المنتقى]...[مفجراً فيها كل ما تختزنه من طاقة وتأثير في أحاسيس المتلقي ومشاعره فالجواهري استثمر الطاقات الأسلوبية ووظفها بطريقة مؤثرة تجد مثولاً لها عند المتلقي، ولا سيّما أنّه أراد أنْ يتوقف المتلقي " وقفات مقصودة عند بعض الكلمات الموحية التي ينثرها في سياق البيت الشعري إذ توافرت لديه امكانات إبداعية استثنائية مكنته من ابراز الألفاظ القديمة وجعلها في سياق شعري مناسب حتى تبدو مغايرة عما كانت تستعمل له فأصبحت أكثر اشعاعاً وحيوية وقدرة على جذب المتلقي واثارة انتباهه. ولاسيّما أنّه أعاد قولبة كثير من العناصر الجمالية في التراث بأسلوب وتقنيات جمالية حديثة تعتمد على حس عصري مثقف، وبناء جمالي أكثر اتساقاً وتناسباً.

وأمّا على مستوى البناء فإنّه يستعمل في صياغة أفكاره تقنيات أسلوبية عديدة لكي يحافظ على حرارة تأثيرها الشعري إذ يعمد الى استحضار أفكاره عن طريق وضعها ضمن (علاقات – صياغات) تنمي حدة الصراع فيها وتشحذ من توتره فالجواهري كان مجدداً على مستوى الألفاظ والبناء؛ ذلك أنّه تمتع بالقدرة على إغناء شعره بميزات تخصه هو دون غيره من الشعراء. فجاء شعره متين السبك

يتداخل فيه القديم بالجديد بصورة منسجمة ومتناغمة تنم عن شخصية شعرية فذة اختطت لنفسها التوقيع الذي يمثلها والذي يكون عنواناً دالاً عليها.

ثالثا: التراث والمعاصرة

أُتيح للشاعر المعاصر أنْ يتمتع بحصيلة خصبة ومتنوعة من التراكم الشعري فضلاً عمّا يُستجد من الانفتاح والتطور الحضاري الذي يواكبه، فكان – على الأغلب– يقف حائراً ازاء علاقته بالتراث التي تحولت الى نوع من الصراع امتدت لتشمل ابعاداً مختلفة فهو وإنْ ثار على التراث ودعا الى قطيعته ونبذه، ولكن يبقى للتراث " حضوراً حتمياً لا تستطيع أية ثورة أن تنفيه – لأنه ارسخ من (الاهرام) فهو على مدى هذه الحقب الطويلة أسس لنفسه قواعد ثابتة من الصعب زحزحتها فكان له تأثير قوي يدخل في حيز اللاوعي للشاعر لتنتج قريحته شعراً فيه لمسات من الماضي التليد وإنْ انكر ذلك.

ويتضح أن العوادي يميل الى أنّ العلاقة بين التراث والمعاصرة لا بدّ أن تكون على أساس التواصل المستمر الفاعل، فقد وجه نقدا لمن ينظر الى التراث والمعاصرة نظرة تجزيئية منفصلة قائمة على مبدأ العزل والتي يغدو من آثارها أن يكون الماضي (التراث) " قيمة أثرية مقصورة على تذكره واستعادته من حيث هو عظة نافعة، لا على أنه طاقة كامنة في الحياة (الواقع) يمكن أن يسهم عن طريق احيائه، بإغناء الحاضر وتفجيره فللتراث تأثير عظيم فهو موضع لانطلاق الشاعر في خط التطور والعصرية مستثمراً طاقاته الروحية والمعنوية، والتراث أشبه بالبذرة التي يخرج منها البرعم ليتفتح بألوانه الزاهية وقد شبه أحد الباحثين من يحاول الانفكاك عن جذوره (تراثه) بـ" النبات الذي يعيش على سطح الماء، فلا يقوى على مقاومة التيارات العنيفة إذ سرعان ما يخفت بريقه ويندثر فلا ماض يستند اليه ويتخذ منه ركيزة تمده بمَ يثبته ويجعله صامداً أمام هذه التيارات.

وقد وضع العوادي معياراً لمعرفة إنْ كان الشاعر مجدداً أو مقلداً (تابعاً)، وهذا المعيار يقاس على أساس نوع علاقة الشاعر بماضيه، فموقف الشاعر " من حيث كونه مقلداً أو مجدداً، انّما يتحدد بضوء علاقته بالماضي ونظامه وبالحاضر ونظامه وبما أن الشاعر يتطلع الى الحاضر والمستقبل الذي اتسعت الهوة بينه وبين الماضي، وهو في الوقت ذاته مرتبط بذلك الماضي؛ فهو تراثه ومنظومة أعرافه وتقاليده بل إنّه يمثل " ذاكرتنا الثقافية، ذاكرة الوعي واللاوعي فلا يستطيع الافلات من الماضي مهما تعددت محاولاته. إذ لا بدّ له من الأخذ في نظر الاعتبار جملة الأعراف والتقاليد المؤسسة للمنظومة الشعرية والتي ادت بدورها الى كثير من التوتر والتناقض في المواقف والرؤى. والشاعر الفذ الذي يستطيع أنْ يوازن بين الماضي الموروث والحاضر الحي وبين فرديته وصلته بمجتمعه موازنة يتجلى فيها فكره وفنه.

ولذا يتعين على الشاعر– كما يرى العوادي – أنْ " يتجاوز من التراث تلك المفاهيم والقيم والمواقف والاشكال التي عبّرت عن حالات وأوضاع لم يعد لها أثر حي في عصره فهي ممّا لا تنفع الشاعر في حاضره ولا تحثه للتطلع نحو بناء مستقبل أفضل، فغدا ينظر الى التراث من منظار ألا " يتبنى الماضي ككل، بقدر ما يختار منه نافيا بعض عناصره ومثبتا بعضها الاخر بما يحقق له طريقاً للسير في سبل المعاصرة، أي أنّ يتمتع الشاعر بموقف واعٍ ونظرة كيسة تربط حاضره بماضيه.

إنّ ما ينبغي على الشاعر أن يأخذه من التراث يتمثل في " كل ما يضيء رؤيته للحاضر ويغني تجربته الواقعية ويفتح له الطريق نحو مستقبل ابداعي ارحب فينتهز الشاعر الامكانات الماضوية ويجعل منها حبل الوصل الذي يربطه بالحاضر برؤية أكثر عصرية وحداثة إذ " لا بدّ لكل جديد من أسس ثابتة قوامها معرفة القديم والبصر به، حتى يتاح لصاحب هذه المعرفة أن يرقى في سعيه الى مستوى" يحقق ذاتيته، ويطبع على تاريخ اللغة ختمه، وبفرده بدور يبدو فيه وجوده مَعْلَماً شاهقاً في تيار الزمن ولا سيّما أنّ التراث العربي يُعد " حجر الأساس في حركة الثقافة فيستمد الشاعر من التراث ما يجعله اوثق صلة بحاضره واوثق اتصالاً بذاته فيعطي شعره حضوراً وكأنه يُسمع لأول مرّة.

إنّ موقف الدكتور عدنان العوادي من العلاقة بين التراث والمعاصرة، وما يتوجب على الشاعر العراقي الحديث أن يثبته وسيلة للوصول الى طاقات الابداع، أو أنْ ينفيه لعدم استجابته للعصر والروح الجديدة للحياة في أفق تطورها، إنّما يُضفي لمسة وبصمة للناقد العوادي الذي شارك برأيه الموسوم بالفطنة والذكاء.

الخاتمة والنتائج:

- ما يُسجل للعوادي أنَّ دراسته للشعر العراقي الحديث وخاصة)لغته) حفظت له مركز الريادة؛ كونه أول من تناول (لغة الشعر الحديث في العراق) بالدراسة على وفق معيار نقدي على مستوى العراق أولاً، وعلى مستوى الوطن العربي ثانياً. وذلك لا ينفي ان تكون هنالك دراسات سبقته في هذا المجال، ولكنها دراسات غير مخصصة او مستقلة بلغة الشعر الحديث في العراق.
- اثّل العوادي قاعدة صلبة لانطلاق القارئ في قراءته للشعر العراقي الحديث، معبّدا له الطريق، جاعلا الشعر العربي القديم نقطة الانطلاق؛ ليزوده بخلفية مهمة عن التغيّرات التي أصابت الشعر العربي القديم وكيف اثرت في الشعر العراقي الحديث؟ وما مدى انعكاسها عليه.
- تابع العوادي في أن الشعر العربي القديم كوّن لنفسه اصولا وقواعد ثابتة خضع لها الشعراء وساروا في ركبها إلّا أنَّ هناك من خرج من هذا الركب وقد جوبه بردود فعل متباينة بين الرفض والقبول.
- رأى العوادي أنَّ الشاعر لا بد أن يكون مراعيا في شعره لتجربته وذوقه ومزاجه فلا ينبغي له أنْ يُمركز ذاته في خندق التقليد وأن لا يتبرأ من الشعر العربي القديم الذي يُعد أنموذجاً وانما يجدد بحسب ثقافته وموهبته الفنية، فبإمكانه أنْ يستثمر القديم ويبدع منه الجديد المبتكر.
- لاحَ للعوادي أنَّ الشعراء العراقيين وفي مقدمتهم (الزهاوي والرصافي والكاظمي والشبيبي) باتوا أكثر وعيا بشعرهم الذي عدّوه رسالة اصلاحية فحملوا الرايات منادين بالتجديد والثورة على الشعر القديم الذي لم يعد يتلاءم وروح الحياة ومتطلباتها.
- اتخذ العوادي من علاقة الشاعر بماضيه (تراثه) معيارا ليحدد إنْ كان الشاعر مجددا أو مقلدا؛ فما يتغياه من الشاعر أن لا يُسجن في ماضيه (تراثه) مستنسخا اشعاره فاقدا لهويته، وأن لا يتنكر له بإقامة ردما بينه وبين ماضيه، بل يأخذ منه ما يُضيئ له حاضره ويغني تجربته.
- حدد العوادي موقفه من علاقة التراث بالمعاصرة بأنّها لا بدّ أنْ تبنى على أساس التفاعل والتواصل المستمر اذ يُكمل احدهما الاخر.